مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٧/٤/٢

الشـــــرق الأوســـــط

والاختيار الصعب بين الحل والحرب !

وقف الرئيس أنور السادات بقامته المشوقة ووجهه الاسمر الى جانب فالتر شيل رئيس جمهورية المـــانيا الاتحادية على منصة عالية بحديقة قصر رئاسة الجمهورية الالمانيـة فى بون يتطلعان الى حرس الشرف الذى اصطف فى حديقة القصر من وحدات الجيش الالمانى الثلاث ، بينما عزفت الموسيقى السـلام الجمهورى المصرى والالمانى .

وعلى سـلالم القصر البسيط الانيق مقر رئاسة الجمهورية ، وقف كبـار رجال السياسة والعسكرية من ألمان ومصريين بصافحون الرئيس السادات والسيدة قرينته ، وأمامهما نهر الراين يجرى فى هدوء يلامس حديقـة قصر الرياسة .

ويدخل الرئيسان المصرى والالمانى الى قاعة مغلقة استعدادا لبدء لقاء منفرد جرى فى نفس اليوم من العام الماضى ولكنه يحمل الان فى عـامه الحالى معالم جديدة وتفاصيل مختلفة وتطور جـــذرى عميق لازمة الشرق الاوسط وفى العـــلاقات المصرية ـــ الالمانية ، وعلى اتســاع العـــالم كله .

شيل يقطع أجازته

همس الرئيس الالمانى فالتر شيل [الذى عرفه الرئيس السادات ضيفا على مصر ووزيرا لخارجيتها قائلا : « **سيادة الرئيس لقد عدت توا من سالزبورج وكنت أقضى أجازتى مع زوجتى وأولادى** [بمناسبة عطلة عيد الفصح [**وطلبت الى زوجتى أن أرحب بكم نيابة عنها وأن تعتبروا بيتى بيتكم** » .

ورد الرئيس السادات ، « **اشكرك يا سيادة الرئيس** [**فمنذ عامين كنت فى سالزبورج حيث اجتمعت هنا بالرئيس الامريكى جيرالد فورد ومن قبله بمستشار النمسا الدكتور برونو كرايسكى** » .

وعندما جلس الرئيسان أنور السادات وفالتر شيل الى مائدة العشاء **قال الرئيس الالمانى** : « ان رحلتكم يا سيادة الرئيس لالمانيا [ليست فقط لبحث العلاقات الالمانية المصرية [والاوربية المصرية وحدها [لاول مرة خلال الاعوام الطويلة التى ألقى نزاع الشرق الاوسط بثقله علينا جميعا بدا فى الافق بصيص الامل للوصول الى تسوية سلمية شاملة لهذا الصراع » .

أهمية ودلالات الرحلة

ورد عليه الرئيس السادات قائلا : « لقد نبع قيامى بزيارة عمل لالمانيا الاتحادية [فى وقت تبدأ فيه مرحلة حاسمة بالنسبة لحل مشكلة الشرق الاوسط : أننا نبدأ مرحلة هامة وخطيرة فاما أن نبدأ طريقنا لتحقيق سلام دائم وعادل اخترناه اسلوبا لحل هذه المشكلة [والا فان هذه المشكلة لايمكن أن نغفل عوامل الانفجار الذى تحمله فى طياتها بسبب تعنت الاخرين [.

وبهذا الاسلوب شرح الرئيس السادات تصوره لاسباب رحلته التاريخية التى بدأت بألمانيا [فاما أن ينتهز العالم الفرصة المواتية لتحقيق سلام دائم وعادل وأما أن يترك العالم هذه الفرصة بحيث يفضل عوامل الانفجار التى تحمله [ويؤدى ذلك الى مايمكن أن يؤديه من أسباب جديدة للتوتر يدرك العالم أنه لامبرر من ورائها ، وقد يزيد من احتمالات تفجرات أخرى فى مناطق مختلفة من انحاء العالم .

وعشية وصول الرئيس السادات دعا هيلموت شميت مستشار المانيا الغربية الى مؤتمر صحفى مفاجىء أعلن فيه أنه يشارك الرئيس السادات فى ايمانه بأن عام ٧٧ هو أفضل من العام الماضى ومن الاعوام السابقة للبدء فى تحقيق الحل السلمى للمشكلة .

سر انزعاج اسرائيل

وازعج هذا التصريح الصحافة الاسرائيلية التى انتهزت فرصة اجتماع المستشار الالمانى بعد ذلك على مائدة العشاء للصحفيين والمراسلين الاجانب فى بون فى نفس اليوم **وسأل صحفى اسرائيلى المستشار الالمانى قائلا** : « تقول مجلة (شبيجل) أنك سوف تستقيل من منصبك [وانك لاتستطيع أن تستمر فى تحمل مسئولياتك بسبب ضعف التآلف الوزارى القائم بالاضافة الى انك قد اقتربت من سن اعتزالك العمل السياسى » . وضحك شميت فى هدوء وقال [« اننى فى كل صباح أتطلع الى المرآة [والمرآة الالمانية معناها شبيجل [عندما أحلق ذقنى [وأفكر فى تقديم استقالتى عند الظهر »

وأما أذا كنت لاتفهم روح الفكاهة فاننى أستطيع أن أقول لك انك مخطىء فى كل توقعاتك وسوف أستمر بعملى مستشارا لالمانيا دون خوف من السن أو ضعف الائتلاف الوزارى ، أو تدهور صحتى .

وكان هذا هو ما تتمناه اسرائيل بالضبط يصبح كل مسئول فى أوروبا وأمريكا فى وضع لايسمح له بممارسة العمل السياسى اذا كان الهدف هو البدء فى تنفيذ الحل النهائى لمشكلة الشرق الاوسط التى أصبحت لاتنتظر الا حلا نهائيا أو مواجهة الصراع مرة اخرى .

وصول فانس المفاجىء

وفى نفس الوقت الذى كان الرئيس انور السادات يجرى محادثاته فى العاصمة الالمانية كان سايروس فانس وزير خارجية أمريكا ينهى محادثاته مع هيلموت شميت وهانزديتريش جينشر وزير خارجيته فى طريقه الى باريس ، وفى اليوم التالى كان السادات مجتمعا بالمستشار الالمانى وبهانز ديتريش جينشر ، وكان لجينشر حديث طويل مع الرئيس السادات :

① لقد أجرى جينشر فى الولايات المتحدة محادثات مطولة فى واشنطن مع الرئيس الامريكى ووزير خارجيته

② تستعد المانيا لممارسة مسئولياتها كعضو لمدة عام فى مجلس الامن .

③ قدم جينشر للرئيس السادات تقريرا مفصلا عن المحادثات التى أجراها الوزير الالمانى مع وزير خارجية امريكا الذى جاء من موسكو حيث تحدث عن مشاكل نزع السلاح وحقوق الانسان والشرق الاوسط بالذات .

④ طرح جينشر أمام الرئيس السادات تصوره للمرحلة المقبلة عندما يجتمع وزراء خارجية دول السوق المشتركة يوم ١٥ ابريل أو بعد اسبوعين فى لندن لمناقشة مشكلة الشرق الاوسط استعدادا للقاء آخر فى مايو على مستوى القمة فى لندن أيضا ويحضره الرئيس الامريكى كارتر ويشترك فيه رؤساء دول وحكومات انجلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا وهولندا والدنمارك ولوكسمبورج وبلجيكا .

اجتمع الرئيس السادات بعد ذلك بمستشار ألمانيا الغربية هيلموت شميت فى حديث طويل ومستفيض .

ومستشار ألمانيا الغربية عضو فى الاشتراكية الدولية التى تضم أحزاب أوروبا الغربية الاشتراكية ، وهى المجموعة التى تمارس جهودها من أجل ايجاد حل لمشكلة الشرق الاوسط

وكان أمام مستشار ألمانيا قضية أخرى تنطلق أساسا من هذه المشكلة وهى حالة الوفاق فى العالم وفشل محادثات سيروس فانس فى موسكو

صورة كاملة للازمة

وقبل ان يغادر الرئيس السادات بون صباح اليوم ليلتقى بالرئيس الفرنسى جيسكار ديستان فى طريقه الى واشنطن ، كانت أبعاد أزمة الشرق الاوسط تتحدد فى الملامح التالية :

① قدم الاتحاد السوفيتى على لسان الزعيم السوفيتى ليونيد برجنيف تصورا متكاملا لحل ازمة الشرق الاوسط وجدت فيه القاهرة عناصر ايجابية بناءة وطلبت توضيحات لبعض النقاط .

② قدم الرئيس الامريكى جيمى كارتر بعض نقاط غير متكاملة بعد

استماعه لوجهة نظر اسحق رابين الذى زار واشنطن فى الشهر الماضى وقبل أن يلتقى كارتر بالرئيس السادات والقادة العرب ؛ ولم تكن هذه النقاط تشكل تصورا كاملا ونهائيا للمشكلة

③ التزاما أمريكيا محددا لاسلوب وطريقة تحقيق الحل السلمى أو مواجهة احتمالات الموقف اذا فشلت نتائج السلام .

④ قرر مجلس الامن أن يؤجل جلساته واستخدم تعبير « الى أجل غير مسمى » وحقيقة هذا التعبير أن المجلس سوف يدعى للاجتماع فور التوصل الى صيغة اتفاق آراء يصدر عنه يحدد رأيه فى تقرير السكرتير العام للامم المتحدة الذى جاء الى الشرق الاوسط على قرار من الجمعية العامة يطالب بانعقاد مؤتمر جنيف ، واشتراك منظمة التحرير الفلسطينية فيه .

السادات وقضية فلسطين

وعندما ذهب الرئيس أنور السادات الى أمريكا فى أكتوبر عام ٧٥ ؛ واجتمع بالرئيس الامريكى جيرالد فورد وتوجه الى الجمعية العامة للامم المتحدة كى يستصدر قرارا منها باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية عضوا مراقبا فى المنظمة الدولية ؛ وقبل ان ينتهى ذلك العام كانت الجمعية العامة تصفق لياسر عرفات وهو يلقى خطابه من منصة الرئاسة مخاطبا المجتمع الدولى رافعا غصن الزيتون قبل ان يرفع بندقية النضال ؛ ومنذ ذلك التاريخ أصبحت المنظمة عضوا اساسيا مشاركا فى أى حل أو مناقشة تتناول قضية الشرق الاوسط ومستقبل الشعب الفلسطينى .

وخلال عام ٧٦ نجح الرئيس السادات فى أن تصدر الجمعية العامة قرارا بأن تشترك منظمة التحرير فى مؤتمر جنيف للسلام ودعت مصر الدولتين العظميين لتوجيه الدعوة للمنظمة للاشتراك فى المؤتمر .

أوروبا ومنظمة التحرير

وعندما التقت دول السوق الاوربية فى ديسمبر من العام الماضى فى لندن ترددت فى استصدار بيانها تطالب فيه أن يكون للمنظمة حق اقامة وطنها انتظارا لما تعلن عنه رحلة سيروس فانس ونائد هايم الى الشرق الاوسط وانتظارا لمحادثات الرئيس مع الرئيس كارتر فى واشنطن .. واكتفت بأن تعطى للشعب الفلسطينى حق التعبير عن وجوده الفعلى على أساس وضع أقليمى . وقبل ان يطير السادات فى رحلة السلام الى أوروبا وأمريكا أعلن الرئيس جيمى كارتر فى تصريح محدد أن الشعب الفلسطينى أصبح له الحق فى اقامة وطن قومى لم يحدد مكانه ولم يعلن أسسه .

وأصبح امام دول السوق الاوربية أن تضع تصورها فى بيان رسمى يصدر عنها يشجع أمريكا على اتخاذ خطوات أكثر تحديدا وأصبح أمام الولايات المتحدة أن تتخذ قرارها بالنسبة لتمثيل المنظمة فى مؤتمر جنيف والاهم من ذلك كله أن تضع دول السوق الاوربية تصورها للحل الشامل والنهائى لمشكلة الشرق الاوسط .

وبالرغم من عطلات عيد الفصح وتفتح زهور الربيع المبكر فى أوروبا أصبحت قضية الشرق الاوسط مطروحة فى كل مجتمع دولى سعيا وراء حل نهائى للمشكلة ولم يصبح أمام مصر والعالم الا مواجهة المشكلة

بشجاعة اما بحل ينهى الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية وينهى انكار اسرائيل للدولة الفلسطينية او واما أن يتحمل الكل مسئوليات عواقب الانفجار التى تحملها هذه المشكلة.

سياسة مصرية ناجحة

وكما قال اسماعيل فهمى فى حديثه الى صحيفة « بوربا » اليوجوسلافية فقد حققت مصر فى عام واحد على الصعيد العربى والدولى النتائج الاتية :

① **جبهة عربية موحدة فى نظرتها** لمستقبل الصراع العربى الاسرائيلى.

② موقف فلسطينى واضح بالنسبة لاحتمالات التفاوض والحل السلمى واحتمالات استمرار الصراع .

③ جبهة دولية قومية تطالب بحل نهائى فى هذا العالم .

④ قوة عربية سياسية واقتصادية مؤثرة فى المنطقة والعالم كله .

⑤ اعتراف دولى بحق منظمة التحرير فى الاشتراك فى جنيف توطئة لاقامة الوطن الفلسطينى .

حمدى فؤاد